من تراثنا

مقبل الذكير وتاريخه

"٢"

للدكتور : محمد بن سعد الشويعر

١٢٩٩ ـ ١٣٦٣ ه

١٨٨٢ ـ ١٩٤٤ م

قليلون هم أولئك الذين ينقلون الاحداث التاريخية على حقيقتها دون ميلأو مبالغة ، وقليلون هم المنصفون في أحكامهم ·

والشيخ مقبل الذكير في كتابه التاريخي ـ المخطوط ـ من هؤلاء القلة ، شانه في ذلك شان الذين عاصروا الملك عبد العزيز رحمه الله ، واهتموا بأعماله وتاريخ توحيد الجزيرة ، وأحبوه شخصيا فكتبوا عنه بتجرد ·· وايمان ومحبة وصدق ·· ايمان باهمية التاريخ في حياة الامم ، ومحبة في المشاركة باخراج اثر يعطي قدرا كاملا من المعلومات التي تهم القاريء الراغب في المعرفة والناشد للمزيد · وصدق في قول الحقيقة لذات الحقيقة ، فمقبل يجعل في تاريخه الاحداث تتكلم عن نفسها ، ويدعم مايعبر عنه من أحداث تاريخية بأصداء ذلك في صحافة الدول العربية والاسلامية ولم يكن ليتحدث عن الوقائع من منبر مركزه الاجتماعي ، أو وضعه العائلي وتتخلله بعض الفجوات لايكاد يشم شخصية الكاتب ، ولم يكن والمالي ذلك أن القاريء لهذا التاريخ الذي تنقصه بعض الاحداث ، لينعكس أثره على محتوى مادة كتابه ·

وفي هذا العرض الموجز لتاريخ مقبل الذكير في حلقتيه الاولى والاخيرة يلمس القارىء قيمة هذا الكتاب ، وأسلوب المؤرخ الجيد ، ومنزلته في اضفاء المعلومات وما بذله من جهد في اخراج كتابتاريخي عن بلاد تجاهلها المؤرخون ، ولم تحفل بعناية الباحثين ، الا في عهد نهضتها الاخيرة وتوحيد أجزائها على يد المغفور له الملك عبد العزيز فمقبل الذكير تحدث في كتابه عن فترة مهمة في تاريخ بلادنا ، حفلت بكثير من الاحداث ، وظفرت باهتمام بالغ في الاوساط الدولية والعالمية ، هي فترة ولادة دولة ، وتوحيد أمة ، وايقاظ همم ، وتوطيد أمن ، وتغيير وجه كامل لجزء من المعمورة ، محبب الى الافئدة لدى المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ·

مصادره :

لقد كان الشيخ مقبل كغيره من المؤرخين يستكمل بحثه التاريخي بما قيل قبله ، فينقل عن المصادر التي بحثت في كل موضوع يتطرق اليه ٠

ولم يكن مؤرخنا بمعزل عما يقال في عهده من تحليلات ، أو ماتنقله الصحف المهتمة بشؤون نجد والحجاز في عصره ٠٠ ذلك الوقت الذي لفت أنظار العالم بأسره اشراقة جديدة تتمثل في قيام الملك عبد العزيز رحمه الله لجمع الشتات ، ولم الشمل في الوقت الذي تتصارع فيه نوازع متعددة ، وتجتاح العالم ويلات وحروب من أجل السلطة الدولية وبسط النفوذ كالحرب العالمية الاولى التي هزت العالم بأسره ، وكالثورات المتعددة ضد الدولة العثمانية التي كانت تمثل الخلافة الاسلامية ثم تبني بريطانيا ومن يحالفها ، ومساعدتهم لما أسموه الثورة العربية تلك الثورات التي كانت ارهاصا للحرب العالمية الثانية ، وتثبيتا لاقدام الغرب في البلاد العربية ٠

فكان مؤرخنا هذا يرصد تلك المعلومات وينقل الصدى فيرجع في معلوماته الى مصادر يسميها ويحلل بعضها ويناقش مافيها من آراء مناقشة المتفحص للامور المدقق في مدلول ماتعنيه وينقل آراء الآخرين فيما جرى في نجد والحجاز من أحداث ٠

وحيث أن الشيخ مقبل عاصر بنفسه كثيرا من الاحداث وعاش وقائعها فانه يؤمن بالفكرة القائلة ليس راء كمن سمعا ٠٠ فهو ينقل مشاهداته ، ويرصد معلومات عما دار حوله وتحت سمعه وبصره من أحداث ووقائع ، عايش ذلك بنفسه أو عاصره فترة طويلة من الزمن هي فترة البناء وتوطيد أركان الامن في هذه البلاد المترامية الاطراف ومعلوماته التي جمعها حرص فيها أن تكون متكاملة ومفيدة ٠

فهو ينقل عن معجم البلدان لياقوت الحموي (٥٧٤ ـ ٦٢٦ هـ) أثناء حديثه عن مدن وقرى نجد وعن المواقع المهمة في الحجاز ونجد وعسير واليمن وقد أكثر من ذلك في الجزء الاول كما في ص ٤٤ في حديثه عن الافلاج وعيونها وص ٩٨ في حديثه عن قرية المصانع التي أصبحت الآن ضاحية من ضواحي الرياض ، وص ٩٩ في حديثه عن منفوحة بلد الاعشي (٧٠٠ هـ) وزهير بن

أبي سلمى (١٣٠٠ هـ) وأسباب تسميتها ، ولكنه لم يمر بي مايؤيد رأيه بأن زهيرا من منفوحة اذ هو مر في ديارهم قرب المدينة والتي أصبحت الان حيا من أحياء الرياض ، ص ١٠٠ عندما مر بذكر عرقة القريبة حاليا من الرياض وملهم اللتين لفحص تاريخهما القديم ومكانتهما واعتبر القرينة هي قـران التي ورد ذكرها في الشعر الجاهلي ص ١١٨ في حديثه عن القرينة (١) ص ١٤٢ في تعريفه بأشى بمنطقة سدير ، ص ١٥٢ عندما ذكر تمير وص ١٧٠ عند حديثه عن بلدة ثرمداء بالوشم ، ومثل ذلك ص ١٧٦ عند حديثه عن أثينة المجاورة لثرمداء وص ١٧٨ عندما أرخ لبلدة القصب بالوشم ·

وفي الجزء الثالث ص ١٥ في تحديده لعسير ومايندرج تحت مصطلحها وتوضيح مدلولها وما تعنيه وزمن اطلاق هذه التسمية ، وقد زاد على رأي ياقوت بما جد من معلومات بعده كما أن المؤرخ مقبل الذكير يستشهد بأشعار عربية ، وعامية في حديثه عن بلدان نجد وبعض الحوادث فيها وفي الاحساء والخليج كما في الصفحات (٩٩ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٣٣ من الجزء الاول)

وفي الجزء الثالث الصفحات (٤ ، ١١٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٤) ·

وينقل عن ابن بشر (١٢١٠ ـ ١٢٩٠ هـ) ، وابن غنام (١٢٢٥ هـ) في حوادث نجد وتاريخها فيما تعرض له كل منهما في تاريخه وهذا كثير لديه بل يصح أن نقول انهما مصدر مهم في نقل المعلومات التاريخية عند مقبل الذكير في تاريخ نجد والدولة السعودية الاولى التي عاصرها ابن غنام وأرخ لاحداثها كما عاش ابن بشر آخر عمرها مابين ولادته في عام ١٢١٠ هـ حتى سقوط الدرعية وتدميرها في عام ١٢٣٣ هـ حيث شاهد الحملات التركية التي قوضت دعائمها كما صور في تاريخه عنوان المجد هدم ابراهيم باشا (١٢٠٤ ـ ١٢٦٤ هـ للدرعية ثم سجل أحداث قيام الدولة السعودية الثانية بزعامة الامام تركي بن عبد الله (١٢٤٩ هـ)

والشيخ مقبل يصور في تاريخه قول السمو ال في عرضه لاحداث الدولة السعودية ·

اذا مات منا سيد قام سيد   قؤول لما قال الكرام فعول

(المختارات الشعرية لعلي آل ثاني ١ : ٣٢)

ولا يكاد يخلو كتابه من ذكر لابن بشر ، وعلى سبيل المثال يمكن المتتبع لهذا التاريخ أن ينظر (الصفحات ٦٤ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١٥٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ من الجزء الاول) (ومن الجزء الثاني ص ١٣ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١) وهنا أشار الى أنه تصرف فيما نقله عن ابن بشر وص ٧٨ عندما قال وهذا نهاية تاريخ ابن بشر ، ثم قال ليعلم المطلع أننا لخصنا أكثر الحوادث مستمدين ذلك من تاريخ ابن بشر ماعدى بعض الحوادث التي استقيناها من مصادر أخرى ، وكلامه هذا عن أحداث عام ١٢٦٧ ه وهذا التاريخ هو آخر الاحداث التي دونها ابن بشر في كتابه المطبوع ·

أما ابن غنام فلم يشر اليه الا لماما كما في (١ : ٢٢٤ ، ٢ : ١٢ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٣٤) ولعله في ذلك قد اكتفى بتاريخ ابن بشر الذي نقل عن ابن غنام جميع الاحداث التاريخية التي رصدها في مؤلفه وقد يكون تجنب النقل عنه لظاهرة السجع الممل عنده ·

ومع هذا فمقبل الذكير يختلف عنهما في طريقة عرضه للامور وكيفية بسطها أمام القارىء ذلك أن أسلوبه أكثر تشويقا وفكرته أكثر ربطا للحوادث وتسلسلها ولعله استفاد ذلك من قراءاته المتعددة وثقافته الواسعة وأسلوب عصره الذي عاش فيه ·

بل نراه يناقش ما أورداه من معلومات ويصححها كما في (١ : ٢٢٤) عندما نقل رأي ابن غنام (١٢٢٥ ه) في دهام بن دواس (١٧١٦ ه وحلل هذا الرأي بأن ابن غنام قد اشتد في حكمه على دهام وغلظ في شأنه فمقبل الذكير يرى أن لدهام بن دواس حسنات اجتماعية تتمثل في تطوير مدينة الرياض واتساع رقعتها وكثرة سكانها ومبانيها وأنه أكسبها شهرة ماكانت قبل بصرف النظر عن مخالفته العقائدية لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ·

و (٢ : ١٢ ـ ١٣) في دفاعه عن شخصية دهام أيضا عندما قال : ولعل ابن غنام لايخلو من بعض التحامل على دهام لمخالفته للدعوة ولكنها على أية حال تصور لنا شيئا من أخلاقه ، وعلى أية حال فلا يمكن اغفال أمره والتنويه بأعماله السياسية والحربية وان لم يرق لنا عمله من الوجهة الدينية وانما نعتبر موقفه ومقاومته الشديدة التي دامت سبعة وعشرين سنة ـعاماـ لم تكن موجهة ضد الدين ، وانما هي دفاع عن مركزه ، ثم أفاض في تحليلات سياسية لهذا الخلاف ·

وفي (١ : ٢٣١) يناقش آراء ابن بشر ويصححها بل يصفها بالهذيان عندما دافع عن أهل القصيم في قوله بعد ذكر خروج الشريف محمد بن عون للقصيم في عام ١٢٥٦ هـ ، خلافا لزعم ابن بشر بأن أهل القصيم هم الذين زينوا له الخروج لعداوتهم لآل سعود وما ذلك الا من هذيان ابن بشر ومن نحى منحاه الذين يلصقون كل أمر بأهل القصيم والا فما هي المصلحة في خروج الشريف وماهي العداوة التي بينهم وبين ابن سعود وهم الذين وقفوا بوجه ابن ثنيان ، فلم يتابعوه وبالوقت نفسه هم الذين بعثوا بوفدهم لفيصل عندما بلغهم وصوله (٠٠٠)

كما ناقش رأيه عن أهل القصيم أيضا في (٢ : ٣٠ ـ ٣١) ورد على ابن بشر في أشياء لم يستسغها مقبل الذكير منه ومن ابن غنام كما ناقش رأيهما في حوادث عام ١١٩٣ هـ ووقعه الحجناوي بين مطير وعنزه وخطأهما في ذلك من ناحيتين ٠

الاولى : أنهما ذكرا هذه الوقعة في أحداث عام ١١٩٥ هـ وهو يرى أنها في عام ١١٩٣ هـ

الثانية : في تفاصيل الاسباب والافاضة فيها وفي المعركة فقد وضع عنوانا في ص ٣١ بهذا النص (أما الحقيقة) ثم ذكر تحته التفاصيل المطولة في ص ٣١ ـ ٣٢

و (٢ : ٣٣) يحلل حادثة قتل أهل القصيم للمطاوعة الذين عندهم عام ١١٩٦ هـ حيث يرى أن ابن غنام وابن بشر لم يجليا سرها الغامض بل اتخذاها وسيلة للتشنيع على أهل القصيم ٠٠ ثم أفاض في ذكر الاسباب التي برأ بها ساحة أهل القصيم من التمرد على السلطة السعودية ، أو الارتداد عن دعوة الشيخ محمد كما وصفهم ابن غنام وابن بشر ٠

وفي أحداث عام ١٢٠٢ هـ علل الاسباب التي جلى بسببها آل رشيد أمراء عنيزة وهم من سبيع من آل جناح عن عنيزة وهم ليسوا من آل رشيد المعروفين في حائل وخالف رأي ابن غنام وابن بشر فيما قالاه حيث أنهما أرجعا السبب لقتل طلبة العلم في القصيم (المطاوعة) (٢ : ٣٤) كما قال عنهما بأنهما اختلفا فيمن استعمله ابن سعود على عنيزة فابن غنام قال : علي بن يحيى ، وابن بشر قال : عبد الله بن يحيى ، وقد رجح الشيخ مقبل رأي ابن بشر عندما قال : وهو أقرب للصواب ٠

وقال في موضع آخر ردا على رأيهما بردة أهل القصيم ، تلك الحادثة التي اهتم منها مقبل الذكير كما يبين من دفاعه المتكرر في أحداث عام ١٢٠٢هـ فاذا كان أهل بريدة وهي أم القصيم والرس التي هي أقوى قرى القصيم بعد بريدة لم يرتدوا فمن بقي من قرى القصيم يستطيع أن يفعل مثل ذلك ، ويعلن العداء لابن سعود من ذات نفسه وبريدة وأمير ابن سعود قادر على اخماد ثورتهم ، فهل تستطيع الخبراء ، والشماسية الصمود بوجه حجيلان ، وسكان كل من هذه القرى لايزيد عن مائة وخمسين مقاتلا على أكبر تقدير ولكن مؤرخينا عفا الله عنا وعنهم يوجهون الحوادث على مقتضى السياسة ، لا على وجه الحقيقة ٠

ومع هذا فالشيخَ مقبل يرجع السبب الى تسرع بعض أهل القصيم في استجابة رغبة سعدون بن عريعر الذي اعتبره المتسبب في ذلك لأن المؤلف لايتصور أن أهل القصيم يفضلون ولاية ابن عريعر على ابن سعود ٠

ومثل هذا توضيحه للصلح الذي جرى بين الامام عبد الله بن سعود (٠٠٠ ـ ١٢٣٤ هـ) ، وطوسون فهو يرد على ابن بشر الذي اعتبر أهل القصيم طرفا في نقضه ، ويعتبر ذلك من تخيلات ابن بشر الذي يحيل كل أمر الى أهل القصيم لما يتهمونهم بعدم الاخلاص للولاية (٢ : ٤٦)

وفي (٢ : ٣٨) يصحح ماالتبس على ابن بشر بشأن قاتل الامام عبد العزيز بن محمد عام ١٢١٨ هـ اذ يرى مقبل الذكير أن تسميته عثمان من باب التدليس والا فهو من أهل كربلاء ٠

وينقل عن مؤرخين لم يسمهم كتصحيحه اطلاقهم اسم قصر ابراهيم في الاحساء الذي يعتبره بعض المؤرخين خطأ قد سمي باسم ابراهيم باشا بينما الشيخ مقبل يرى أنه سمي باسم ابراهيم بن محمد بن عفيصان والي الاحساء للامام عبد العزيز بن محمد عام ١٢١٣ هـ الذي بناه بعد قتل ثويني (٢ : ٣٦) ٠

وينقل عن أمين الريحاني (١٢٩٣ ـ ١٣٥٩ هـ) في كتابه تاريخ نجد الحديث بعض المعلومات التاريخية كما في الجزء الثالث ص ١٢ ، ٩٥ ، ١٠٤ ٠

ومن مراجع مقبل الذكير التي أبان عنها : مؤرخ الكويت الذي لم يسمه ، ابن بشر الى مسمى كتابه ، وذلك عندما يسوق أحداثا تتعلق

بالكويت غير تلك التي عاش بعضها في عام ١٣١٣ هـ عندما كان مقيما في بيت يوسف آل ابراهيم ، وغير مشاهداته التي نوه عنها (٢ : ١٠١) ذلك أنه في (٢ : ٩٩) نقل عن السيد خلف النقيب معلومات نسبها لمؤرخ الكويت .

كما نجد من مصادره ابراهيم بن عيسى (١٢٧٠ ا ١٣٤٣ هـ) وابراهيم المحمد القاضي وذلك بعد أن أشار الى انتهاء أحداث عام ١٢٦٧ هـ التي هي آخر سنة رصد ابن بشر أحداثها ، فلفت النظر الى ذلك ، والى المصادر الجديدة التي سنستند عليها في استخراج المعلومات وتتبعها ، وان لم يشر الى ذلك في الغالب في مواضعه .

فهو يقول في (٢ : ٧٨) ـ يعلم المطلع أننا لخصنا أكثر الحوادث ، مستمدين ذلك من تاريخ ابن بشر ماعدى بعض الحوادث التي استقيناها من مصادر أخرى وهي معروفة كما أن فيه تعليقات وملاحظات من تاليفنا ليست من تاريخ ابن بشر ولا غيره وهي وصف النهضة الاصلاحية ونشأة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وعلاقاته قبل اتصاله بمحمد بن سعود ، وتراجم الامراء الاربعة الذين قاوموا محمد بن سعود ، وحاولوا أن يقفوا دون توسع وجلب الشريف على نجد وما شكل ذلك ، وبما أن نهاية تاريخ ابن بشر انتهى نفوذه وتعليقاتنا على حوادث قتل المطاوعة ، وعلى جلب الحكومة المصرية ، في حوادث هذه السنة فقد اعتمدنا على وريقات منسوبة لابراهيم هيسى ذكر فيها أربع أو خمس حوادث من حوادث القصيم فقط .

وعلى تاريخ ألفه ابراهيم المحمد القاضي استخلصنا منه جزءا قليل ـ قليلا .. من حوادث البادية التي لم نقف عليها وهي قليلة جدا انما يلزمنا التنويه بذلك وماعدى ذلك من حوادث نجد فهو من روايتنا ومحفوظاتنا ، اذ أنني قد عاصرت الحوادث في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ، وحرصت على حفظها وتدوينها من مصادر الحوادث نفسها ، وتتبعت ماشذ هني فأخذته ممن شاهده أو حضره من الثقات وحرصت كل الحرص على تمحيص الحقائق كما هي لا كما اشتهى أن تكون ، ولم أرسم الا ماثبت هندي صحته متجنبا الميل جهد الطاقة ، ولم أبخس العدو حقه من الحقيقة ، ولا أعطيت الصديق منها أكثر مما يستحق ، لانني أكتب للحقيقة ، وللحقيقة وحدها ، وما توفيقي الا بالله .

ومع أن هذه الكلمة أبانت معلومات عن مصادره فانها تعتبر أسلوبا منهجا ممتازا يبين هدف الكاتب ، وينبيء عما سلكه في تدويناته ، وكان

الاولى أن تضمن هذه المنهجية مقدمة كتابه كما هو الاسلوب الحاضر في التأليف ٠

كما رصد في كتابه هذا مجموعة من المعاهدات منها المعاهدات مع اليمن التي نقلها عن الكتاب الاخضر السعودي (٣ : ٦٣) كما أن من مصادره مذكرات سليمان باشا شفيق في حديثه عن منطقة عسير (٣ : ١١)

أما الجرائد والمجلات العربية والاسلامية فقد كان النقل عنها سمة ظاهرة للجزء الثالث من كتابه ذلك أنه يأتي بمقالات من هذه الصحف التي تنقل الحقيقة وتبين عن وجهة النظر في الاحداث التي تتعلق بالمملكة العربية السعودية ليسير في منهجيته التي رسمها وهذه الصحف هي :

أم القرى التي تصدر بمكة (٣ : ١٥٥ ، ١٣ ، ١٢٨ ، ١٣٤) الايمان اليمينية الرسمية ٣ : ٤٨ ، الايام ٣ : ٨٠ فلسطين ٣ : ٣٣ العراق تصدر ببغداد ٣ : ١١٣ القبلة كانت تصدر بمكة ٣ : ٨٦ فتى العرب الدمشقية ٣ : ١٦٥ الصراط المستقيم ٣ : ١٦٨ الفتح المصرية ٣ : ١٦٦ الاهرام المصرية ٣ : ١٣٨ ، ١٥٥ ، ١٦٥ السياسة المصرية ٣ : ١٦٧ البلاغ المصرية ٣ : ٥٠ الجهاد المصرية ٣ : ١٦٧ مجلة المنار المصرية ٣ : ٨٢ ، ٨٣ ، ١٣٦ ومن الهند ــ جريدة مليت الهندية ٣ : ١٦٩ ، وهند جديد ٣ : ١٦٨ ومجلة الجمعة الهندية ٣ : ٨٧ تصدر بكلكتا ٠

هذا بالاضافة لما ينقله عن الصحف الانجليزية مثل : المانشستر جارديان ٣ : ٣٨ والغازيت ٣ : ١١٥ كما ينقل عن وكالة الانباء رويتر ٣ : ٣٨

ولم يقف عند هذا بل نراه يحلل الاحداث السياسية التي تتعلق بالمنطقة التي يؤرخ لها فيحلل خطاب هاملتون الانجليزي الذي ألقاه في سيلان والذي تكلم فيه عن أحداث الجزيرة العربية وثنائه على سياسة الملك عبد العزيز وحكمته (٣ : ٨٣)

آراء حول الكتاب :

قال الشيخ حمد الجاسر عن هذا الكتاب : انه من أوفى الكتب في موضوعها ، الا أنه بحاجة الى التنقيح والترتيب فما وصل الينا منه مسودة المؤلف ، ثم قال : والاسلوب تكثر فيه الاخطاء اللغوية (مجلة العرب ج ١٠ م ٥ ص ٨٩٧)

ويقول الشيخ عبد الله بن بسام : وعلى كل حال ففي هذه المسودة ، – يعني تاريخ مقبل الذكير – فوائد قيمة من حيث ترتيب الاخبار وابداء آرائه والحوادث كما وصف الحوادث التي عاصرها وصفا جيدا (علماء نجد في ستة قرون ٣ : ٩٥٢)

فقد اتفق الشيخان على فائدة هذا الكتاب مع مافيه من نقص ، فلعل الايام تكشف عن النسخة المنقحة التي قال عنها الشيخ عبد الله بن بسام : بأن مقبل الذكير قد أكمل تاريخه وبيضه ولكنه فقد ، فالمكتبة التاريخية ببلادنا تتطلع الى مثلها لتضفي على تراثنا معلومات جديدة .

ذلك أن مؤرخنا يمتاز في أسلوبه التأليفي وعرضه للمعلومات فيما ظهر لنا مما بين أيدينا من كتابه ، بأشياء جديدة لم يعرفها المؤرخون في بلادنا قبله من حيث :

١ – أن الكتاب لم يكن خالصا لوجه التاريخ فهو يتعرض لانواع العلوم والمعارف من جغرافيا وأدب وجيولوجيا وسياسة واجتماع وغير ذلك .

فالطريقة المنهجية التي سار عليها الشيخ مقبل شبيهة بمنهج ابن خلدون (٨٣٢ – ٨٠٨ هـ) في مقدمته وتاريخه ، ولذا فانني لا أستبعد افادته من ابن خلدون وان لم أره أشار اليه .

٢ – أن مؤرخنا هذا يميل الى مراجع قديمة وحديثة يسمي بعضها ، وبعضها يميل اليه في الحاشية والبعض الاخر وهو الاغلب يغفله تماما .. وهو انما يريد ربط المعلومات بمصادرها لتكون أدعى في نفس القارىء وأمكن عند المتتبع .

٣ – ان الشيخ مقبل في هذا التاريخ قد سلك طريقة أسلافه المؤرخين قديما وحديثا ، من سرد الحوادث التاريخية متتابعة حسب تتابع السنين في أغلب كتابه .

لكنه يوزع هذا الكتاب الى ثلاثة أجزاء لكل جزء تسمية مستقلة ولو عرض كل جزء من هذه الاجزاء على القارىء منفصلا عن البقية لما وجد الا أشياء قليلة تربط بعض المعلومات ببعض ولعل هذا مما دفع بالمؤلف الى أن يجعل لكل جزء تسمية مستقلة وهذه التسمية توحي بمحتوى متغاير .

وهذا لايعدم وجود أشياء سوف تتجلى أمام القارىء بصورة أكثر وضوحا فيما لو توفرت نسخة متكاملة المعلومات خالية من السقط والحزم ·

٤ ـ أعطى معلومات كاملة ووافية عن أحداث عايشها ووقائع شاهدها وقد استقى هذه المعلومات من مشاهداته أو عن أناس ثقات يطمئن اليهم ، ومع كثرة ماأورده من معلومات ووقائع فانها تعتبر بحق من أوفى مارصده مؤرخ في بلادنا وفي كتاب واحد ·

الا أنه يبين أمام القارىء قصوره في أشياء :

أ ـ لم يتحدث عن كثير من قرى ومدن نجد كما رسم لنفسه مثل شقراء أشيقر ، القرائن ، الفرعة ، الحريقة ، مرات ، البرة ، وغيرها ويأتي بمعلومات ناقصة عن مثل : المجمعة ، حرمة ، وغيرهما كما أنه يأتي أحيانا بالعنوان دون أن يستكمل المعلومات التي تحته مثل قرى نجران ، ومنطقة تثليث وناحية وادي الفرع ، وناحية المحمل ·

كما أن هناك نواحي لم يتطرق اليها بتاتا مثل : القصيم ، الاحساء ، ناحية القطيف ، جبل شمر ، العرض ، الجوف ، عالية نجد ·

ب ـ لم يتحدث عن الامام محمد بن سعود بن مقرن ووصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية ، ولا عن كيفية تأسيس وقيام الدولة السعودية الاولى ، لانه رأى أن مدة امارة الامام محمد بن سعود من عام ١١٣٩ هـ الى عام ١١٥٨ هـ ليس فيها مايستحق الذكر (١ : ٦٦) مع أن الواقع مغاير لذلك اذ في حياته بدأ التحول الكبير في تاريخ الجزيرة بأسرها بعدما تم اتصاله بالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله ·

جـ ـ لم يتطرق لذلك الحدث التاريخي الذي غير مجرى التاريخ وهو استعادة الرياض ثم تحصينها واتساع الدائرة في نجد والاحساء ، ومارافق ذلك من وقائع وحوادث ·

د ـ لم يذكر أوليات الاصلاح الاجتماعي والحركة التعليمية والعمرانية وشتى مرافق الحياة الحضارية التي تمت في عهد الملك عبد العزيز حتى تاريخ كتابة هذا التاريخ عام ١٣٦٠ ·· وقد يكون أغلبها قد برزت معالمه قبل وفاة المؤلف ·· وهذا شيء مهم في تاريخ دولة ناشئة بدأت حياتها من لاشيء ·

اذا استثنينا مارصده من أوليات أوردناها هنا ٠٠ فهي من القلة بحيث أنها لاتساوي شيئا بالنسبة لغيرها من اصلاحات ٠

فكل مرفق اصلاحي يعتبر جديدا عند أبناء هذه البلاد الذين لم يسبق لهم أن فتحوا عيونهم على الحضارة الا بعد استقرار الامن في بلادهم بعد أن دخلت طور الحضارة في حكومة موحدة يرعاها رجل خبر الحياة وخبرته ودخل التاريخ من أوسع أبوابه ٠

هـ ـ بحكم عمله مدير مالية الاحساء حقبة منالزمن وهي من أهمموارد الدولة آنذاك ، فان هذا العمل يهيء له أن يعطي معلومات عن الوضع الاقتصادي وموارد الدولة وميزانيتها في ذلك الوقت ليستنير بذلك الباحث في دراسة مقارنة النواحي الاقتصادية والموارد المالية مع أي عصر من العصور ، ولكنه فيما يبدو احب أن يكون امينا على أسرار عمله حتى بعد أن تركه ، فأشاح عن التعرض لهذه الحالة ، رغم أنه أعطى فكرة عن موارد الامارات السابقة للملك عبد العزيز في أنحاء من نجد بما في ذلك موارد الدولةالسعودية الاولى في عهد الامام عبد العزيز بن محمد ، والامام سعود بن عبد العزيز ٠

و ـ تنقصه الدقة في تحديد الاماكن فهو يقول مثلا عن حرمه بأنها تقع جنوبا عن المجمعة وتبعد عنها ثمان ساعات ٠٠ بينما الواقع أن حرمة والمجمعة عبارة عند بلد واحد لايفصلهما الا الوادي وهي شرق المجمعة ٠

ثم قال ومثلها عن جلاجل ، وهذا التحديد الاخير بين حرمة وجلاجل قريب من الصواب اذ تبعد حاليا حسب الطريق المعبد ٢٨ كم ، وهي ذاتها المسافة مع المجمعة ٠

٥ ـ يناقش آراء المؤرخين قبله كابن بشر وابن غنام طلبا للحقيقة ونشدانا للمعرفة كما يقول عن نفسه ولكنه أبرز ذلك جليا في دفاعه عن أهالي القصيم وأبناء بلدة عنيزة ، فقد يكون ذلك تعصبا شخصيا ، وقد يكون من باب نشدان الحقيقة واظهارها ولم يكن ذلك واضحا أمامه الا فيما يتعلق بمراتع صباه وبما وقع تحت سمعه وبصره في مجتمعه الذي تربى فيه ٠

لكن اهتمامه بتاريخ نجد والجزيرة العربية يجعلنا نحكم بنشدانه الحقيقة لذات العلم والحقيقة فهو واسع الاطلاع ويحكم من واقع معرفته بأن نجدا لم يتصدى لتاريخها ورصد معالمها أحد من علمائها في القرون العشرة الاولى من الهجرة لا تاريخيا ولا أدبيا ولا جغرافيا الا ماذكره الا ما ذكر في

بعض الكتب كوصف جزيرة العرب للاصمعي (١٢٢ ـ ٢١٦ هـ) وكتاب مناهل العرب لمحمد بن ادريس بن أبي حفصة مما لم يصل الينا الا شذرات ممن نقلوا عنهما ثم قال : والذي يريد أن يبحث في تاريخ جزيرة العرب لايمكن أن يجد مصدر ـ مصدرا ـ يستمد منه المعلومات الذي (التي) تلائمه فكأن الجزيرة في هذه القرون العشرة في ظلمة تاريخية حالكة الجلباب لايمكن الاهتداء الى طرقها ، وكأنها من المجاهل التي عجز العالم عن اكتشافها ، وقد تتبعنا لمؤلفات التاريخ القديمة والحديثة فلم نجد فيها ماينير الى الطريق فأما المتقدمين فقد أهملوا ذكرها ولم يعيروها شيئا من اهتمامهم لأن أنظارهم طمحت الى تتبع الفتوحات في خارج الجزيرة ، أما المتأخرين فقد عالجوا هذا الموضوع وأشبعوه بحثا وتحقيقا من أقدم أزمنة التاريخ الى صدر الاسلام ، ثم قفزوا هذه العشرة بما فيها من الحوادث ، وتركوا ذكرها عجزا وبدأوا يعالجون التاريخ ابتدءا من قيام حكومة آل سعود ، وأكبر من تصدى لهذا الموضوع بالزمن الاخير : جرجي زيدان صاحب مجلة الهلال ، ومن بعده أمين الريحاني وفؤاد حمزة وكيل وزير الشؤون الخارجية للحكومة العربية السعودية على أن فؤاد حمزة قد عالج وبحث في كتابه : (قلب جزيرة العرب) تاريخ الجزيرة منذ أقدم أزمنة التاريخ الى زماننا هذا الا أنه أهمل تاريخ نجد بالقرون المذكورة ولا أظن أن أحدا يستطيع الاهتداء الى تاريخ هذه القرون العشرة الاولى مهما حاول أو بذل من الجهد فنحن لايسعنا الا أن نسلك مسلك من تقدمنا من المؤرخين ولا يضيرنا اذا اعترفنا بعجزنا كما عجز عنه من هو أقدر منا وأوسع اطلاعا (١ : ١٧١) كما أنه يدخل في حوار مع الاحداث التي عاصرها ويحلل أبعادها السياسية والحربية ، ذلك أنه يمتاز ببعد النظرة وسعة الاطلاع وعدم الاستسلام لكل مايقال ·

٦ ـ يمتاز أغلب أسلوبه بالهدوء فهو لايتحمس وينفعل مع الاجداث والوقائع التي تتجاوب مع رغبات نفسه ·· ولا يتشدد في الحكم ويتعمق في الرد على من يخالفه في وجهة النظر ، اذا استثنينا شدته على ابن غنام ، وابن بشر في حكمهما على أهالي القصيم بالتمرد على السلطة ذلك أننا نجد لديه عبارات قاسية أوردها في رده عليهما مثل : تجهيلهما ، ووصف رأي ابن بشر بالسخف ومرة بالهذيان ·

فلو ابتعد عن هذه الكلمات النابية والتي أورد مايقاربها على أناس من السياسيين الذين عاصرهم لاعتبرنا مقبل الذكير من رواد النقد التاريخي في بلادنا ·

ذلك أن الناقد يجب أن يتصف بالهدوء في نقده والعدالة في حكمه ، والاتزان في ألفاظه والقسطاس في ميزانه .. فقد يأتي من يجد التبرير المدعم بالبراهين لرأي من قبله لتستبين الحقيقة التي تجعل حكم الناقد لاقيمة له .

٧ ـ لم أجد للامام عنده ذكر الا في حوادث عام ١٢٥٩ هـ عندما استرجعه الامام فيصل بن تركي بعد حصار لقصر الدمام دام اثنتي عشرة ليلة ، حتى أفرج آل عبد الله عنه ورجعوا لموطنهم البحرين (٢:٧٢) ، ويبدو أنه أخذ هذه المعلومات باختصار من ابن بشر في أحداث تلك السنة (٢ : ٣٥٢ ـ ٣٥٣)

كما أن مقبل الذكير لايطيل في المعلومات التاريخية التي توسع فيها سابقوه كابن بشر وابن غنام وابن عيسى ، لان من الواضح أنه يريد أن ينفرد بشخصيته التاريخية المستقلة .

٨ ـ قد جعل في بداية الجزء الاول تقسيمات تشمل النواحي التي يضمها اسم نجد بالمعنى الاصطلاحي ورصد تحت كل ناحية أسماء قراها ، وهذه النواحي عنده هي ثماني عشرة ناحية رتبها كما يلي : ناحية نجران ، ناحية تثليث ، ناحية وادي الدواسر ، ناحية الافلاج ، ناحية وادي الفرع ـ ويعني به الحوطة والحريق ـ ناحية الخرج ، ناحية العارض ، ناحية الشعيب ، ناحية المحمل ، ناحية سدير ـ واعتبر الزلفي منه مخالفا بذلك من قبله كابن بشر ـ ناحية الوشم ، ناحية العرض ، ناحية السر ، ناحية القصيم وقد قسمها قسمين : ناحية بريدة وتوابعها من القصيم ، ناحية عنيزة وتوابعها من القصيم ، ناحية الاحساء وقسمها قسمين أيضا الناحية الشرقية ويعني بها الهفوف وقراها ، والناحية الشمالية ويعني بها المبرز وقراها ، ناحية القطيف ناحية جبل شمر ، ناحية دومة الجندل .

كما أعد بيانا آخر يشتمل على هجر ١٤ أربع عشرة قبيلة من البادية هي حسب الترتيب : عتيبة ، حرب ، شمر ، عنزة ، هيثم ، مطير ، قحطان ، سبيع والسهول ، العجمان والمرة ، وبني هاجر ، الدواسر ، العوازم .

٩ ـ ومع أن الشيخ حمد الجاسر قال : ويظهر أنه عاش الى مابعد سنة ١٣٦٠ هـ مع أن آخر ماسجل في تاريخه من الحوادث هو حادثة محاولة

الاعتداء على الملك عبد العزيز رحمه الله في المطاف يوم الجمعة ١٠ ذي الحجة عام ١٣٥٣ هـ ومايتصل بها ، ولكن بين أوراق الكتاب ورقة تحوي البيان الرسمي الذي أصدرته الحكومة في ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٥٩ هـ في حادثة الذيب وقد اطلع عليه الشيخ مقبل كما يبدو من تصحيح بعض كلماته (مجلة العرب ج ١٠ م ٥ ص ٨٩٦) ، الا أنني وجدت في ثنايا الكتاب ثلاث عبارات تدل على أنه الفه عام ١٣٦٠ هـ فهو يقول في (٣ : ٨) الذين قابلهم ابن سعود بأتم الاكرام ، فانزلهم وعائلاتهم في بيوت ورتب لهم الرواتب ، وأفاض عليهم الانعامات بسخاء كبير ولم يزالوا حتى تحرير هذا عام ١٣٦٠ هـ في الرياض .

وفي (٣ : ٢٣) يقول عن الادارسة واكرام الملك عبد العزيز لهم بعد اعترافهم بالخطأ : وأنزلهم في محلات تليق بهم ، وخصص لهم الرواتب الجزيلة ، ولم يزالوا عنده حتى تحرير هذه السطور عام ١٣٦٠ هـ

وفي (٣ : ١٤٣) وفي حوادث عام ١٣٤٥ هـ قال : وقبل سفر الملك عبد العزيز الى نجد من المدينة استدعى مشاري بن سعود بن جلوي وعينه وكيلا لامارة المدينة المنورة بدلا من ابراهيم السبهان على أن الامير الاصيل لم يباشر منصب أمارته طيلة خمسة عشر عاما التي مضت حتى الآن .

١٠ ـ وأخطاؤه النحوية واللغوية أكثر من أن يحصرها العد اذ قلما تمر بعدة صفحات دون خطأ نحوي أو لغوي ودليل ذلك مايحسه القارىء في كثير من الاخطاء التي أبقيناها على وضعها فيما نقلنا عنه من نص .. ومع هذا فهو يشرح كثيرا من الالفاظ العامية في الاشعار التي أوردها وينبىء عما تدل عليه من مفهوم .

١١ ـ لقد حرص مقبل الذكير أن يقود مسودة كتابه الذي تبرز فيه ظاهرة الملاحظات التي وضعها في هوامش كتابه وأوضح فيها أنه ينقصه بعض المعلومات التي يفتقر اليها الكتاب نقول : ان المؤلف قد حرص على تقديم مسودة هذا الكتاب الى شخص لم نتعرف على اسمه ولم نستبن

هويته ليدون ملاحظاته عليه رغبة منه أن يسمع صوت النقد ، ولكي يتدارك الخطأ قبل عرضه على القراء فقال في (٢ : ٧٨) أدام الله وجودك هذه هي المسودة الاولى ، وسلام جنابك ، انها لم تكن رصينة منسقة وفيها مايحتاج الى اسقاط ومنها مايحتاج اصلاحه ، أو الزيادة عليه ، والذي نرجو أن تبدوا ملاحظاتكم على الهوامش والا لو بالتأشير على مايراد اصلاحه ·

فأعاده هذا الناقد المجهول شرحا تحت هذا الكلام مباشرة الاخ مقبل لاحظت الكتاب وأعجبت به أيما اعجاب فجزاك الله خيرا ، أما أني أبدي ملاحظاتي فاني لست من أهل ذلك ، غير أن في عملك البركة والسلام · (التوقيع)

غير أن الذي لفت نظري هو لماذا كانت هذه الاحالة وجوابها في ص ٧٨ من الجزء الثاني وفي نهاية أحداث عام ١٢٦٧ هـ الذي يعتبر في نصف هذا الجزء بالذات ·· سؤال يحير ولم أستطع أن أجد له جوابا مقنعا ؟!

وبعد : فهذا هو مقبل الذكير وتاريخه ، وقد كنت أتمنى أن يطول حديثنا معه ، ويتسع الوقت لاستجلاء أبرز المعالم التاريخية التي أوردها ·· لان في هذا الكتاب مظاهر جديدة في تاريخ بلادنا كما يمتاز المؤلف بسمات انفرد بها ·· ومنهجية تخالف طريقة مؤرخي بلادنا قبله مع مافيه من نقص وما عليه من ملاحظات ·· ولعل الصورة الكاملة تتجلى بحسنها في النسخة المتكاملة التي لايزال الحجاب يخفيها ·· علما بأن مؤرخنا هذا يقف في الرقم ٣٠ ثلاثين في العد التنازلي لمؤرخي بلادنا حسب الترتيب الزمني ·

وأتمنى اليوم الذي يجد الباحث والمتتبع تاريخ بلادنا وقد رتب ونسق في تسلسل موضوعي وترتيب زمني وما ذلك على جهود الرجال المخلصين بعسير اذا توفرت الامكانيات أو تضافرت الجهود ·· مع توفيق الله وتيسيره ·

أهم المصادر

١ ـ تاريخ ابن عيسى ـ ابراهيم بن عيسى منشورات دار اليمامة بالرياض

٢ ـ تاريخ ابن لعبون ـ محمد بن محمد بن لعبون ـ الطبعة الاولى عام ١٣٥٧ هـ مطبعة أم القرى بمكة المكرمة .

٣ ـ تاريخ ملوك آل سعود ـ الامير سعود بن هذلول الطبعة الاولى ١٣٨٠ هـ مطابع الرياض .

٤ ـ تاريخ نجد ـ المسمى روضة الافكار ـ حسين بن غنام ـ الطبعة الاولى على نفقة عبد المحسن أبابطين ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر عام ١٣٦٨ .

٥ ـ صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الاثار ـ محمد بن عبد الله بن بليهد الطبعة الثانية عام ١٣٩٢ هـ

٦ ـ صفة جزيرة العرب ـ للهمداني تحقيق محمد بن بليهد ـ مطبعة السعادة بمصر عام ١٩٥٣ م

٧ ـ علماء نجد خلال ستة قرون ـ عبد الله بن بسام مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة الطبعة الاولى عام ١٣٩٨ هـ

٨ ـ علماء نجد وقضاتها ـ منصور الرشيد (مخطوطة)

٩ ـ عنوان المجد في تاريخ نجد ـ عثمان بن عبد الله بن بشر ـ طبع على نفقة وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية . مطبعة صادر بيروت ١٣٨٧ هـ

١٠ ـ الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب ـ عبد الرحمن بن محمد بن زيد المقيري ـ مطبعة المدني بمصر عام ١٣٨٢ هـ

١١ ـ مجلة العرب ج ١٠ مجلد ٥ ضمن مقال للشيخ حمد الجاسر .

١٢ ـ المختارات الشعرية لعلي آل ثاني منشورات المكتب الاسلامي بدمشق الطبعة الاولى عام ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م

١٣ ـ مشاهير علماء نجد ـ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ . الطبعة الاولى عام ١٣٩٢ هـ منشورات دار اليمامة بالرياض .

١٤ ـ كنز الانساب ومجمع الاداب ـ حمد الحقيل . الطبعة الاولى عام ١٣٨٧ هـ مؤسسة المعارف بمصر .